محي الدين بن عربي

الرسائل الإلهية

تحقيق: قاسم محمد عباس





تبصرة الطالب وطالبة القارب
إلى موطن الغراب والعجائب

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت واليه أنيب، الحمد لله الذي جعل الإنسان الكامل مظهر ذاته، ومسقط صفاته، ومعرك تجلياته،ومصب وابل رحمته وهباته، وأكمل آياته، وأعظم نسخه، وأتم نشأته، ومفتاح غيب حضراته. والصلاة والسلام على من لا يُحصر فضله وبركاته، ولا يغوص الغائص في بحر هوياته، (محمد) روح مخلوقاته، وآله وصحبه وأزواجه وذرياته، صلاة وسلام زاكيان ناميان باقيان بدوام سرمدية حياته.

وبعد فهذه رسالة إلى كل من وقف عليها وفهمها وسميتها:

(تبصرة الطالب وطالبة القارب إلى موطن الغرائب والعجائب)

فأقول: اعلم أيها الإنسان أنك حضرة كاملة مستوية جامعة للواقع وغير الواقع، فأنت الكتاب الذي ما فرط فيه شيء، وأنت الوصل الشامل للتجليات الذاتية، والأصل الذي نبأ عن كتب مرآة الألوهية، ومراتب الحضرات العليّة، وأنت البرزخ بين البحرين، ومظهر العالمين، وسر العين، والأين. وأنت الإنسان الكبير. وهو الإنسان الصغير، بالنسبة



إلى الحضرة التي تحضر فيها بالحق مع الحق من حيث حقيقتك، وأنت الكل والجزء، والكلمة الفاصلة الجامعة، والحكمة الواصلة المانعة، وأنت القائم بصفتي الصفات: صفات الحق وصفات الخلق، لأنك أنوار النور المكنون، وكنز العلم المصون، وعرش الذات الأحدية، وكرسي الهوية الصمدية، وواسطة الفيض الأقدس، ورابطة التجلي الأنفس، وأنت القديم الحادث، وأنت الحقيقة المنزلة بمراتب الوجود الحقية، المفاضة إلى المرتبة الخليقية، الظاهر بصفات الخلق على اختلاف طبقاتها، وتنوّع أسمائها وتجلياتها، من وجود وقَدَم، ولوح، وقلم، وعرش وكرسي،وأفلاك وأملاك،وأنوار وآجال، سماوات وأرض، وطول وعرض، وطبائع وجهات، وعناصر ومركبات، وجماد ونبات، وحيوان وإنسان، وإلى كل كائن كان، وغير ذلك من أسرار ما هناك مما انبسطت عليه الإلوهية، واقتضته الربوبية، فأنت جنس الأجناس من حيث كليتك، ونوع الأنواع من حيث الأنواع من حيث جزئيتك، وأنت عين الأعيان، والمسمى بالإنسان. هذا كلّه من حيث اعتبار حقيقتك الحقية، المنزلة بفيضها للمراتب الخلقية، وهي حقيقة الوجود، وطريقة الشاهد، وشريعة المشهود، ومن حيث هذا الاعتبار المقصود، يعتبر لك. ولك كل ما يطلق على أسم الوجود، فإذا عرفت هذا فاعلم: ان الحق الغني العظيم، والملك العزيز الحكيم، قد جعل مرتبة ظهورك في أقصى مراتب الاستجلاء، الذي تم بها في الغيب الجلاء، في آخر < ٥٧ ظ > مظاهر عالم الشهادة، الأعلى والأغلى، فكنت من حيث مجموع تركيبك جامعاً بين طرفي الوجوب والإمكان، والمتجلي في الغيب والشهادة بصورة الرحمن، فصورتك الباطنية الغيبية عين الذات العلية، والحقيقة الواحدية المستوية على الألوهية، وصورتك



الظاهرة الشهادية فرص الوجود، ونص الشهود. الخليفة المنزّل، والإمام المرسل. فأنت الإمام المسؤول عن رعاياه، والوجه الواحد الكثير في مرائي مراياه، فمراتب الموجودات كلّها كالأشكال، وأنت لها روح الخيال والمثال، كالماء المطلق، وتلوّنه بلون كل إناء محقق، ولهذا أشار بعض العارفين، لما سئل عن العارف، فقال: " لون الماء لون إنائه"[20]. إشارة إلى هذا السر المودع في عين كل إنسان، ومن خصوصيته أن يحكمه في الأكوان، ويرقّيه عن الأعيان، إلى أن يصير بإنسانه عظيم الشأن، وبشأنه يبلغ المستوي على عرش الرحمن. ولمّا كان له هذا الأمر المحكوم، والشرب المكتوم من الحي القيوم، لم يرتبط بمقام معلوم، ولا بوصف معين غير الجمع من حيث الخصوص والعموم، كما أنه تعالى ربط مراتب الموجودات في مقاماتها بأسماء وصفات، ولهذا ترقّى الطالب إلى المراتب العلوية، وهبط الهارب إلى المهاوي السفلية، وقد اختلفت طبقات هذا العالم الإنساني، بحسب القبول والاستعداد للسير السرياني، المنزل بمراتب الوجود العرفاني، في أفراد هذا النوع الإنساني، لاقتضاء التجلي الرباني، والفيض الرحماني، من حيث أحكام الحقائق الحقية، والنسب والإضافات في الأعيان الخلقية، حتى يجري هذا الاختلاف في هذا العالم الإنساني، وتتميّز مراتبه من حيث شهوده الحقائق والرقائق بالكشف العياني، وتتنوع الشؤون في الأعيان، ويعرب عنها بالدليل والبرهان، وبالافتراء والبهتان، وأقل من ذلك عند تحقيق ما هنالك. ألا ترى أن بعض هذا النوع الإنساني لا يساوي جزءاً من مائة ألف جزء من تعوّضه على التمثيل والتقريب، والآخر يسجد سجدة حقيقية يستغرق فيها سجود العوالم الكلية والجزئية، وجميع شؤونها العلوية والسفلية،



ويتنفس النفس الواحد فيستغرق به عبادة العالم كله العبادة الذاتية، من حيث أن المدد الساري في جميع الذراري من جهته يمدّ الوجود في عين كل نفس، فيظهر له عبادة الوجود، لأنه يكون في هذا المقام متحققاً بمقام العبودية الكبرى المتكفلة بإيصال المدد الوجودي إلى مراتب الوجود كلّه،فمن هنا صار نفسه الواحد أفضل من عبادة كل عابد؛ لأن روحانيته [٥٨ ظ] غير متحيزة، فانظر إلى هذه العبادة العظيمة في اختلاف الشهود العياني، وتفاوت هذا النوع الإنساني، من حيث أن الوضع واحد، والحق هو المشهود والشاهد، وكل إنسان موضوع لظهور حقائق مراتب الوجود، ومحمول في عين إنسانيته أحكام حكم فيض الجود، وهو جامع من حيث فطرته الأصلية، ونشأته الأزلية الأبدية، لذلك كله كان أحق بذلك وأهله.

ثمّ لما أراد واجب الوجود اقتضاء ظهوره في إنسان عين الشهود، أنزل هذه اللطيفة الإنسانية اللاهوتية إلى هذه النشأة الكاملة الناسوتية، المركبة من مجموع حقائق الأعيان والأكوان العلمية والعينية. وكان هذا التنزل الرحماني،والسر الجامع الإنساني، على اقتضاء الحكمة، ووفق العلم،وتخصيص الإرادة، لاستتار أسرار الغيب في أنوار الشهادة، وطي النور في الظلمة، والقدرة والسمع والبصر والكلام في سريان الرحمة. فلمّا تنزل إلى آخر مراتب الظهور،واستولت الظلمة على النور، فطلبه بلسان الشريعة والحقيقة، وسلوك مقامات الطريقة، بالرجوع إليه، والتعولّ عليه، ولم يجعل له غاية يقف عندها غيره، ولا نهاية يبلغ إليها سيره. وكان هذا الطلب لهذه اللطيفة الإنسانية من أقصى عالم الظهور، وآخر التركيب الناسوتي الساتر للنور، والحجب الظلمانية الشهادية،



والأهواء المختلفة الردية. عند تقيدها بدار الحدثان، وسجنها في طبيعة الهوان، التي صارت فيها غريبة عن وطنها الأصلي، وإطلاقها المجرد الكلي، وإنما أنزلت لهذه المهمات، لترتقي بعد تحصيل الكمال لأعلى الدرجات، فمن سبقت له عناية التخصيص من عين ذاته الثابتة الأزلية، التي هي منبع الأسرار والأنوار القدسية. أجاب الداعي عند سماع قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾[٢١]، وهو داعي الشريعة من باب الأمر الذي لا يدخل منه إلاَّ الطالب المحب الصادق، فتأتي روحانيته سميعة مطيعة، فإذا دخل من هذا الباب، وبلغ مقام أولي الألباب، وأحسن آداب الطريقة، أتاه داعي الحقيقة يدعوه من باب التعرُّفات الإلهية الجاذبة له لأعلى المقامات السنية، فيأخذ هذا المطلوب المحبوب للحق، الراجع إليه من حيثيات الخلق في التجريد والتحليل عن ناسوته وتركيبه الأرضي، للسمو لسماواته باتقانه للسنة والفرض، ويرتقي من ظلمة حدثانه، حتى ينكشف له وجه إنسانه، وينعدم الفاني بالتلاقي، ويبقى بالحق الشأني الباقي، ولا يخفاك ان الغريب كلما بعدت مسافته، وطالت أمد غربته، إذا رجع بعد العناء إلى أهله ووطنه، ما يحصل له ولهم من فرح وهناء عند إقامته وسكنه، ويكرمونه لخاصيته، ولقدوم وصوله من غربته. ولهذا السر جعل الحق سفر هذه اللطيفة الإنسانية إلى أقصى العوالم الكلية والجزئية، الغيبية والشهادية، لتحصل بعد هذه الدورات، وقطع هذه المقامات [٥٨ظ] والاطلاع على هذه التجليات، والتخلق بهذه الكمالات، في أعلى ذروة الوجود، وأسمى عروة الشهود، وتبلغ من الحق المقصود، ويوفيها المقام المحمود، وأما إذا أخلدت هذه اللطيفة الإنسانية إلى أقصى مراتب عالم الشهادة الدنية، وأجابت داعي



النفس والهوى، وظلت بها الأغوى، وانحدرت مع النفس إلى مقعر الطبيعة والدنس، وأهوت بها إلى أسفل سافلين، وكانت من المغضوب عليهم والضالين، انحصرت في سجن الطبع وظلمتها، ودار الهوان وشدّتها، وصار لونها لون الطبيعة الردية، وتخلقها تخلق الأفعال الشرية، فذاك سجن عقوبتها، ودار إهانتها، ومنتهى سعيها وطلبتها، وتحصل من عالم الطبع لذتها، نسبة اللون الذي ظهرت به ونسب إليها، والوصف القائم بها الغالب عليها، والذي مضى عليها بانخراطها في سلك عالم ذلك الوصف بها من عالم الطبيعة هنا. فيكون في البرزخ، ويوم القيامة حاكماً عليها ولها، فهذا هو الظالم لحقيقته. الأعمى في الدنيا والآخرة عن حكم طريقته وشريعته المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٢٢]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[٢٣]، وبقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[٢٤]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث البينات، والأول هو المؤمن السعيد التقي، الذي ورد فيه الحديث: (ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبد النقي)[٢٥]، الذي تنقى من الأغيار، وبقي مجلى لتجليات أنوار الواحد القهار، والثاني هو الكافر الشقي الخبيث، الذي باع الدنيا بالدين، واحتُرم[٢٦] جمال شهود رب العالمين، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[٢٧]، وقوله: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٨]، وقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾[٢٩]. وكل ذلك لعدم الامتثال، وتضييعهم لرأس مال في المحال، ولنا كلام بديع في أسرار مطالبة هذا الإنسان لحقائق الوجود عموماً من حيث فطرته الأصلية، وخصوصا من حيث مناسبته



العالم مراتب حقيقة إنسانيته الذاتية، من حيث جهتي التلوين وثبوت التمكين. وكل ذلك باقتضاء الوصف الغائب عليه، ورجوع كل نتيجة تظهر منه وفيه وإليه، ولكن لا يمكننا بيانه هنا لاختصار هذه الرسالة لنا، وبالجملة أن تعلم أن كل من قامت به حقيقة من حقائق مراتب الوجود، ودامت له رقيقة من رقائق الشهود، كان حكمها عائداً إليه، ووصفها راجع عليه، لأن الماء لونه لون إنائه، وإناؤه تلك الحقيقة من حيث الجهة التي تلي روح تلك الرقيقة، فتفطن تعلم، وتخلص تسلم، ولا تهمل تندم،ولا تسرف ترحم، يموت المرء على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، ويحشر على ما يبعث عليه، ويلقي ربه على ما يحشر عليه.ومع هذا الكشف ان كل ما سوى تلك الحقيقة والرقيقة من [٥٩و] أعمّ حقائق مجموع الوجود، ورقائق أسرار الشهود، مظلومة وهو الظالم، محكومة وهو الحاكم، لكونه محبوب الذات العلية، ومطلوب الحضرة الإلهية، إلى أن يقوم بمجموع حقائق الوجود، ويدرك بممنوع رقائق الشهود، ويعطي كل ذي حق حقه، ويقوم بين يدي مليك مقتدر، إلى أن يقعده في مقعد صدقه: ولأن المظلوم داع ومدع على ظالمه بلسان حاله وذاته ومقاله من حيث لم يوصله لكماله، فالإنسان من حيث إخلاده إلى سجن الطبيعة ظالم ومظلوم، كما أنه من حيث حقيقته حاكم ومحكوم، فهو ظالم من حيث كونه ضيع رعاياه، واتبع نفسه وهواه، فالرعايا طالبة منه ظهور سلطانها في عينه، والتقرب إليه والاتصال به من بينه، وقيام أحكامها به القيام الكلي؛ لأنه هو سر الروح الأصلي، ومطلوب الحضرة الذاتية، عند رجوعه إلى حقيقته الكلية، القائمة بكل الحقائق، والمشاهدة لجميع الرقائق، فكان ظالما لحقائق نفسه، ومظلوماً لعدمه من رقائق



أنسه، المضيعة بتضييعه نفسه، وقيامه بطبائعه وحسه، وظالم من حيث جزئيته في تركه كمال كونه الصغير، ومظلوم من حيث كليته المشار إليها بالإنسان الكبير، فهو ظالم مظلوم، وحاكم محكوم، بإشارة قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم بل ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾[٤٠]، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم: (وما حدثت به أنفسها)[٤١]، فان الأنفس هي المحدثة ـ بكسر الدال وفتحها ـ وقد علمت أن (الظلم ظلمات يوم القيامة)[٤٢]. وآفات وعاهات، وحسرة وندامة، وذلك بحسب الظلم، وبحسب المظلوم، فإذا قام بها الإنسان ـ مثلا ـ وصفا من أوصاف عالم الطبيعة، فكل ما سوى ذلك الوصف من مجموع حقائق ورقائق النفس الكلية مظلوم، لكونها رعايا ونسبا إليه ضائعه وضيعة، وهو ظالمها حيث لم يجمعها بذاته، ورفعها إلى الحضرة الرفيعة، وفقنا الله وإياك لجمع حقائق النفس الكلية، ورفع لنا عن دقائق حكم الشؤون الذاتية؛ لأنها رعاياه وهو سلطانها، وقضاياه وهو برهانها، فيجدها ظلمات لا نهاية لها، ولا حصر ولا مقدار، فهي ظلمات بعضها فوق بعض، حجب وآثار بعدد حقائق الحضرة العلية في الوجود، ورقائق النفس الكلية في الشهود، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: الظلم ظلمات يوم القيامة، بلسان الجمع المشتمل على العطاء والمنع، وليست هذه الظلمات خاصة يوم القيامة، إنما يوفى كل إنسان بعمله، ويجد معتقده أمامه؛ لأنه يرتفع فيه حجاب الخيال، وتنكشف فيه الحقائق كلها من دون مجال، وتشهد كشف الحقائق [٥٩ظ] الإلهية القائمة بأفراد الحقيقة الإنسانية، ويشهدها في هذه الدار كل أحد مما ارتفع عنه حجاب الخيال والمثال. وتجلت له حقائق الأزل والأبد، فيشهد جميع الحقائق والرقائق عياناً جليا، لاتصال شهوده بدار الآخرة. ورجوعه إلى الحق مليا.



فانظر ـ عافانا الله وإياك، وفتح لنا وأرشدنا وهدانا ـ ما أعظم هذا الأمر وأشدهُ وأقصمه للظهور؛ لأنه أسرار وأنوار مندمجة في ظلمة بلا نور لا تظهر إلا لمن كحل الله تعالى أحداق بصيرته بنور الإيمان، وأطلع في سويداء فؤاده وسريرته شمس العيان، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾[٤٢]، فالإشارة بالظلمات التي يُخرجُ الحق منها الذين آمنوا هي الظلمات المتعددة بحسب تعدد حقائق النفس الكلية، ورقائق الحقيقة الأصلية فان مقام الأيمان ـ وان جل وعظم ـ فهو لا يشتمل القيام بمجموع حقائق النفس الكلية، ورقائق أحكامها الكلية والجزئية، بل هو بالنسبة إلى مقام الإحسان ظلمة، وصاحب مقام الإحسان يشهد صاحب مقام الإيمان، متردياً في ظلمات بعضها فوق بعض، ومقام الإحسان حدّه حضرة الأفعال، وهو بالنسبة إلى التحقيق بمجموع حقائق النفس الكلية ظلمة من حيث الإجمال، وظلمات من من حيث التفصيل، وهكذا تجد الظلمات لا نهاية لها من باب السلوك. والإنسان مطلوب إلى التخلص من كل ظلمة، فلا يزال السالك المترقي عن سجن الطبيعة ومقام الحيوانية يخرجه الحق من الظلمات ما لم يلج بحر الظلمات حضرات الأسماء والصفات، ويظهر سلطان كل حقيقة في عينه، ويكون له نسبة بمجموع تلك الحقائق والرقائق، التي هي عبارة عن مجموع إنسانه الكبير، ويصير هو الإمام القائم عليها بالحفظ والإمداد، وحسن التربية، فهي جيشه داعية له، وشاكرة بلسان التحقيق المستغرق للسان الذات والحال والمقال.

وأما العبد الذي ناصر ذنب الشيطان وضيّع هذا المقام الكلي بإخلاده إلى عالم الطبيعة، فهو المضيع لرعيته الظالم لها ،المفسد الممرض



بل المهلك فهي داعية عليه ومدعية بلسان ذاتها وحالها ومقالها مع ما يقوم عليه من الظلمات المتعددة بحسب تعددها. فاعرف أيها الأخ الصالح - إن شاء الله تعالى - هذا السر العظيم، والكنز العظيم، والطلسم الجسيم. واعرف الفرق العظيم بين من يدعو عليه جميع حقائق النفس الكلية ورقائقها وتقوم عليه [٦٠و] الظلمات المترتبة ضيعتها وضيعته، وبين من تدعو له جميع حقائق النفس الكلية ورقائقها، وتمده بأنوارها، وتحفه بأسرارها، وأنظرته مقامها، وأعطته قواها، وأثنت عليه شكر لسان التحقيق، شكر الصفات الذاتية وانظر كيف قابل الشكران، الشكران، والكفران الكفران، فإن الإنسان الحقيقي الراجع إلى عين حقيقته، وأصل فطرته شاكر لجميع حقائق نفسه الكلية ورقائقها، شكر الذات للصفات، وهي شاكرة له شكر الصفات للذات، والإنسان الحيوان الغالب عليه أحكام طبيعته، كافر بحقائق نفسه الكلية ورقائقها. وهي تقابل بالكفران، ولهذا كان بين المناظرة العليا، وحقائق الملكوت الأعلى، وبين الأمشاج والاخلاط الذي هو عالم الطبيعة من هذا الإنسان حَرْب شديد، قائم على ساق، ومعركة وتجاذب بالأطواق، لكونه بعضه كافر ببعض، والإنسان من حيث جملته وتفصيله بعضه عدو لبعض، وبعضه يلعن البعض، وهو لا يدري ولا يشعر، علم هذا من علمه، وجهله من جهله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾[٤٤]، وأنا أعيذك بالله يا أخي أن تمسي وتصبح عابداً لشيطان الطبيعة، كافراً مكفوراً، مدعوا عليك بلسان جميع الحقائق الرقائق التي للنفس الكلية، ومع ذلك تطلب المباعدة منك والمهاجرة عنك، وأن تمسي وتصبح تائها في لجج ظلمات ظلمها. فالأحرى بك أن تمسي وتصبح



شاكراً مشكوراً بلسان حقائق مجموع الوجود ورقائقه. ومطالعاً أقماره وشموسه، ومناداماً لداعيته، ولابساً نور الوجود الذي لا يقوم عنده ظلمة ولا ظلم مطلقا.

واعلم يا أخي أن الإنسان معشوق من حيث ذاته لجميع حقائق الوجود ورقائق الشهود، وليس في الوجود سلطانٌ مطلوبٌ مطاعٌ على جميع العالم كله غير الإنسان إذا تحقق بحقيقته، وقام بأصل فطرته وإنسانيته. فلا تجعل لفرد من أفراد حقيقتك معدوداً في أقصى الدنسة في موضع الخسة، والظلمة والغمة عليك سلطاناً، فتصير كعامة الخلق في لجة الظلمات تائها عن معاني حقائق ذاتك، ومغرباً في أرض الكفر الأقصى، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾[45] المقابل وقوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾[46]، فإن الكفر الذي هو محل تولي الطواغيت، فيه للإنسان ليس هو نهاية الظلمات، بل هي بالنسبة إلى ما ورائه من الكفر نور.

وتتفاوت درجات الكفر بالنسبة بعضها إلى بعضها البعض ما بين نور وظلمة إلى ما لا نهاية له، فإن الطواغيت يخرجون الذين كفروا من النور [٦٠ظ] وهو الكفر الأدنى بالنسبة إلى الكفر الأقصى الذي هو بالنسبة إلى الكفر الأدنى ظلمات بعضها فوق بعض، فاعرف كفرك أيها الإنسان في مقام الطبيعة، واستر شأنك مع الطواغيت من ظلمة إلى ظلمة وعلى قدر الهُوي في مهاوي الظلمات يكون. يكن البعد. وعلى قدر انقشاع حجاب الظلمات يكون القرب، وإلى هذه الإشارة في الحديث: (بأن الكافر يهوى في جهنم سبعين سنة)[47] وجهنم هي دار الظلمة، بل عين الظلمة؛ لأنها دار البعد عن الحق، وذلك ربما عاش



الكافر تائها في لجة الظلمات سبعين سنة، فيموت على ذلك فيكون مُهوىً في مهاوي ظلمة البعد سبعين سنة، فاعرف هذا يا أخي وتدبّره بقلب سليم ولا تغتر بالنسبة الخارجية التي أغتر بها العلوية وغيرهم ممن ينتمي إلى الوصول إلى أصول الصلاحية والشرف يصل إلى الأبناء من الإباء، فإن النسبة الحقيقية إنما هي المطابقة بين الحقيقتين والرقيقتين، وكون ما حكم به في الداخل وَحْذُ عينه في الخارج سواء بسواء. وقد ذكرناه في كلام لنا بديع في باب المطابقة، وتكلمنا فيه على ما في حقيقة النسبة والنسب، وبالجملة أن النسبة البنوية من الأبوة ليست نسبة مطابقة فان نسبة المطابقة ما كانت كما هي في الداخل كما في الخارج، ونسبة البنوة من الأبوة إنما هي مفسرة بلزوم صحة الحكم الذي هي به في الخارج فقط لا بوقوع عينها أبداً البتة مثال ما إذا فعل في زمان ثم وقع فعل بعده في زمان آخر كان ذلك الوقوع ملزوماً بصحة حكمنا في الذهن، بتقديم الأول على الثاني، وتأخر الثاني عن الأول، وهكذا سائر الأحكام النسبية والإضافة، فإنها إنما هي مضرة بوقوع صحتها في الخارج لا بوقوعها هي في عينيها بخلاف المطابقة الحقيقية، فإن مطابقتها إنما هي بوقوعها بنفسها في الخارج، وتعرف من هذا التقرير أن نسبة البنوة من الأبوة إنما هو أمر معقول للذهن بحكم الذهن لا تكون البنوة نسبة لها عيناً موجودة في الخارج البتة، فهي نسبة معتبرة ذهنا فقط غير رابطة بين الأب والابن ربطاً حقيقياً ،وإنما الأبوة والبنوة أمران اعتباريان لا وجود لهما في الخارج من الذهن، وهما من الأمور المتضايفة، والمتضايفان اذن بينهما غاية الخلاف، وإنما يتوقف عقلية أحدهما على عقلية الآخر، وقد عدُهما علماء المنطق والمفسرة من أقسام



المنافاة، وعدّها الأصوليون أيضاً من الضدين تنافيهما ينافي الضدين. ولا مناسبة بين الضدين في الخارج. وأن يتوقف عقلية أحدهما على عقلية الآخر.

فافهم وأعلم هذا السر، فإنما عرّفتك به لتسلم [٦١و] من غرور من يظن بحكم طبيعته وظلمه وجهله أن الشرف والصلاح والولاية والمشيخة تتعدى من سفلهم إليهم، ويلزمهم ذلك لزوماً ذاتياً، ولو كان الأمر كذلك للزم اليهود والكفار النبوة؛ لأنهم من أولاد (نوح) عليه السلام كلهم. ومن أولاد (إبراهيم) عليه السلام وغيره، وللزم ولد العالم عالم بالعلم من غير طلب ولا جهد، وهذا هو الجهل العظيم الذي أداهم إلى ذمم في ذم الحس والطبيعة.

فعموا عن الحق عند ذلك ولم يدروا ـ المغرورين ـ أن المشيخة المضافة إلى النسبة التي هي رفع الحجاب، وكذلك الشرف والصلاح والولاية والعلم والحكمة. ومن ذلك سائر المعاني المعروضة للإنسان أمر عرضي ليس هو ذاتياً لازماً للإنسان، فإن الأوصاف من الإنسان من حيث قابليته كالأوصاف القبيحة الذميمة التي يصير بها في مقام الكلب والخنزير، وأقل منهما وأسفل، وليس شيء لازم للإنسان من جميع مراتب وجوه حقيقته، كما عرفناك به من حيث هو لا لون له، وإنما هو قابل للخير والشر، والشرف وضده، والولاية وضدها، والصلاح وضده، غير ذلك كله ذلك هو قابل له بالقوة، فاعرف هذا السر، فإنك تنجو به من ورطة الغرور اللازم لخلق الذي صاروا به خلفاً للحق.

واعلم أن المقصود من الإنسان إنما هو التخلص من سجن طبيعته المظلمة السفلية، ورقائقها الجهنمية والأفعال الناشئة عنها الذميمة



الشرية، والتخلق بأخلاق الإلهية، والقيام بكمال الروحانية العلوية، والرجوع إلى النشأة الفطرية، والاهتمام بتحصيل حقيقته الإنسانية الجامعة للحقائق والرقائق الكلية والجزئية، الموضوعة لمطلق الكمالات الحقية والخلقية، والجامعة لحقائق الأسماء والصفات، والأفعال والآيات الظاهرة الجلية، والباطنة الخفية؛ لأنها إنسان عين الوجود، ورحمن روح الشهود، وهو في الحقيقة أيسر المقصود من إيجاد كل موجود. فعليك أيها الأخ الموفق بمعرفة نفسك، وتخليص حسّك، قبل نزول رمسك، وفناء قالب إنسك لأنه واسطة السعادة، ومحل الخير والبركة، وبيت العبادة، فاجهد في تصفية نشأتك الإنسانية، وفطرتك المطهّرة الأصلية القائمة بحقائق الوجود الأزلية، ورقائق الشهود الأبدية، عند اضمحلال الأعيان والأكوان، وبقائك بالحق وشهودك له على ما عليه كان. وهذا آخر ما تكلّمنا به في نشأة الإنسان. والحمد لله العظيم السلطان، العميم الإحسان، الجسيم الامتنان، البعيد الدان، وصلى الله على سيدنا (محمد) أشرف ولد هاشم وعدنان، وعلى آله وصحبه وسلم ما دام تجلى الآن بالشان وسلم.

